أثر المؤثرات الثقافية ومناهج التربية

في تكوين الكفاءات العلمية المغاربية المعاصرة

إعداد

الدّكتور عبدالنّاصر بوعلي

أثر المؤثرات الثقافية ومناهج التربية
في تكوين الكفاءات العلمية المغاربية المعاصرة.

إعداد الدّكتور عبدالنّاصر بوعلي - جامعة تلمسان - الجزائر

المقدّمة:

لقد غَدا التكوينُ ضرورياً وهاماً في حياة الأمم والشعوب، فهو يهدف إلى بناء كفاءة الأفراد وتطوير قدراتهم من أجل بناء قوَّة بشرية منتجة وزيادة الإنتاج والإنتاجية، وتحقيق التطور والتقدم في المستويات، والمهارات، وتحقيق الكفاءات في مختلف التخصصات.

يمثل التكوينُ في المجتمعات المتقدِّمة عُدَّة استراتيجية للسّياسات العامة المسطرة، إذ لا تعهد الأعمال والمهام والمسؤوليات إلا لمن استفادَ من التكوين في المجال المعين، بينما لا تليه بلداننا العربية أهميَّة، فكثيرا ما تعهد المهام والمسؤوليات لخريجي الجامعات والمدارس دون سابق تكوين في الميدان المتخصص الذي يتولاه الفرد، وهو الأمر الذي أدى إلى سوء التَّسيير وظهور النقائص. وفي ميدان التَّربية والتَّعليم فإنَّ التكوين يعد عُدَّة المعلم والأستاذ في مجال التربية والتعليم، فلا بُدَّ أن يستفيد رجال التعليم من تكوين في التَّربويات وفي التشريع المدرسي وفي علم نفس الطفل والمراهق.

١- **مفهوم التكوين:**

أ- **لغة:** التّكوين مصدر من الفعل كوَّنَ يكون تكوينًا فهو مُكوِّن يقال: كون الله الكون أخرجه من العدم إلى الوجود، وكوّن فريقًا أحدثه وأوجده، وكون فكرةً شكَّلها.

وكوَّنَ نفسَه علّم نفسه، وكون أجيالاً: درَّبهم على اكتساب المعرفة الثقافية وعلمهم[١]،(حبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين،٢٠١٣، ط١،المجلد١، ص١١٢٦).

ب- **اصطلاحاً:** التّكوين عملية إعداد وتحضير الفرد لمنصب تسيير وإشراف يكتسب فيه رصيدًا معرفيا يؤهله لإبراز قدراته، وذلك قصد النُّهوض بالطاقات وتحسين الأداء وزيادة الفاعلية والاستمرارية وتقوم عملية التكوين على عناصر ثلاثة:

١- **المُكوِّن:** وهو كلُّ من يتولّى تكوين الآخرين وذلك بنقل الخبرات والمعارف التطبيقية إلى المكوّنين ويُقوِّم النتائج، ويراجع البرامج ومحتوياتها على ذلك ويساهم في اختيار الوسائل البيداغوجية.

٢- **مجالُ التَّكوين:** وهي مجالات الحياة المتعددة من:

- تربية وتعليم وتخصُّص المعلمين والأساتذة الذين يتولون تعليم الأجيال.
- الإدارات وتخصُّص الموظفين الذين توكل إليهم الأعمال الإدارية.
- المهن والحرف التي يَحتاجُها المجتمع في القيام بالشؤون العامة.
- التخصُّصات العلميَّة المختلفة والتي يستفيد منها الأطباء والصيادلة والمهندسين.

٣- **أهدافُ التَّكوين:**

يرمي التَّكوين إلى تحقيق جملة من الأهداف تخصُّ الأفراد والمجتمع نلخِّصها فيما يأتي:

- التَّنمية الذاتية واكتساب الكفاءة.
- المساهمة في حلِّ المشاكل.

- غرس ملكة الابتكار والاختراع في عقول المكوّنين.
- المساهمة في ترقية المجتمع.
- إحداث التغيير الايجابي في الحياة العامة.
- الزيادة في الإنتاج والإنتاجية.
- تخفيف التكاليف.
- اكتساب الانضباط وتحسين السلوك.
- التقليل من الأخطاء المهنية.

٤- أنواع التكوين:

أ- **التكوين على المهارت:** ويتم ذلك من خلال رفع مستوى الأفراد وإكسابهم مهارات حسب تخصصاتهم العلمية أو المهنية، التي يحتاجونهم في أعمالهم ومهامهم التي يقومون بها في المجتمع.

ب- **تجديد المعلومات:** إنَّ التطور الحاصل نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي الحادث في العالم، يفرض على المتعلم التفتح على الجديد الذي جدَّ في عالم المعرفة، وبذلك فإن الفرد يحتاج دوما إلى تحديث معلوماته وعصرنة معارفه وإلا بقي رهين القديم ولا يمكنه مواكبة المسار العلمي والمهني الجديد، فمن لا يفكر بثقافة عصره فسوف يتخلف، ويجرفه السّيل فيطرحه جانبا، فيبقى قابعا ينظر بدهشة إلى العالم من حوله وهو يشق طريق التطور والتقدم.

ت- **الترقية:** فالانتقال من إطار مهني، إلى إطار أعلى، ومن رتبة إلى رتبة متقدمة يفرض الحصول على تكوين يناسب المنصب الجديد والرتبة العالية.

ث- **التكوين التخصّصي:** يستفيد منه الراغبون في التخصص ضمن الميادين العلمية والتقنية.

٥- طرائق التكوين:

تتنوع طرائق التكوين حسب المجال والتخصص فهناك:

أ- التكوين قبل الخدمة: يستفيد منه الناجحون في المسابقات التي تنظمها المعاهد والمدارس العليا والجهات الموظفة.

ب- التكوين أثناء الخدمة: يستفيد منه الممارسون لأعمالهم ونشاطاتهم في الميدان لهدف تحسين المستوى والرفع من درجة التحكم في المهارات.

ت- التكوين في الخارج: ويراد به جلب التقنيات والتكنولوجيا الحادثة في العالم، ويتمثل هذا التكوين في أنواع ثلاثة:

- التكوين قصير المدى، يجري في شكل بعثات علمية إلى الخارج لمدة ١٠ أيام إلى ٢٠ يوما.
- التكوين طويل المدى لمدة شهر إلى ٣ أشهر.
- التكوين الإقامي حيث يستفيد المتكوّن من الإقامة في البلد الأجنبي لسنوات عدة حتى ينهي تكوينه حسب الرزنامة المرسومة.

٦- تخطيط التكوين:

إنّ التخطيط عمل استراتيجي يقوم على حسن استغلال الوقت وتنظيم العمل فيقدم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يستحق التأخير كما يحدّد المراحل ونقاط البداية والنهاية وهناك جملة من الأسئلة يطرحها المخطط للتكوين تبدأ من:

- ما هو مجال التكوين؟
- من هم المستفيدون من التكوين؟
- من أين يبدأ التكوين؟
- متى نبدأ التكوين؟
- كيف نبدأ التكوين؟
- ما هي المراحل التي يجب قطعها في التكوين؟

- كيف نقيم التكوين؟

٧- أساليبُ التكوين وطرقُه:

يتبع الدّارسون لأساليب التّكوين وطرقه مجموعة من الإجراءات تختلف تبعا لنوع التكوين وطبيعته والأغراض منه ونذكر منها:

- الـدّروس.
- المـحاضرات.
- المـناقشات.
- التــّمارين.
- الزّيـارات.
- المؤتمـــرات.
- التّكوين بالمـــراسلة.

٨- مؤسّسات التكوين القديمة في بلاد المغرب العربي:

تتوفّر بلدانُ المغرب العربي على مؤسسات ذات طابع ديني حافظت على هُوية المنطقة طيلة عهود الاستعمار التي تعرضت لها وساهمت في الانبعاث الحضاري وإحياء الشخصية الوطنية بما أنتجته من ورؤى ومفاهيم بفعل الإنتاج المعرفي في العديد من العلوم.

تتمثل هذه المؤسسات في جامعة الزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب، والكتّاتيب القرآنية التي أحدثتها جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، بالإضافة إلى الزوايا والمساجد والجمعيات.

أ- جامعة الزيتونة:

تعد جامعة الزيتونة من أعرق الفضاءات التعليمية في العالم الإسلامي، حافظت على استمراريتها عبر القرون، ينسب هذا الجامع إلى حسان بن النُّعمان الغساني فاتح

الشمال الإفريقي عام ٧٩هـ[٢] (ص١٨ عز الدين عناية، جامعة الزيتونة العقل الديني التونسي، ص ٤٧).

مثّلت جامعة الزيتونة العقل الديني للمغرب العربي، فقد كانت قبلة الطلبة التونسيين والجزائريين والمغاربة طيلة حقبة زمنية كبيرة، ينهلون من علومها ويأخذون عن مشايخها ثم يرجعون إلى أوطانهم فيبادرون إلى تكوين حلقات علمية ومدارس محلية وجمعيات يتخذونها قواعد لتعليم الناس شؤون دينهم ودنياهم، ولعلّ في تأسيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر خير دليل، فإن غالبية مكونيها هم من طلاب الزيتونة.

كان للزيتونة بعدًا عربيا وإسلاميا، ساهمت في تكوين أجيال من المعلمين والأساتذة الذين انتشروا في الغرب الإسلامي، بل وفي العالم الإسلامي، حملوا لواء الإحياء والتجديد الحضاري للأمة من أمثال: محمد طاهر بن عاشور، وخير الدين التونسي، وأبي القاسم الشَّابي، والعربي التبسي، الزبير التركي، وعبد الحميد بن باديس، وعبد العزيز الثعالبي، وصالح المهدي، وأبي القاسم سعد الله، وغيرهم كثر يعدون بالمئات[٣]. (نفســـه ص ٥٨)

حمل جيلُ الزيتونة على عاتقه نشر التعليم الديني والحفاظ على اللغة العربية، والقيم الوطنية، إلاّ أنّه كان يعوزه التنبه الحضاري والتحديث العلمي الحديث، ولعل ذلك ما جعل العديد من الجهات تتضايق بمناهجها وتدعو إلى تحديثها، شأنها شأن الأزهر الذي ثار على مناهجه العديد من العلماء أمثال الدكتور طه حسين[٤].(ينظر طه حسين، حديث الأربعاء،٢/٥٤)

ب- جامعة القرويّين:

جامعُ القرويين من أقدم الجوامع في المغرب الأقصى، فقد بُني عام ٢٤٥هـ على يد امرأة صالحة تدعى فاطمة الفهريَّة (أم البنين)، فقد تبرَّعت بكل ما تملك لبنائه في عهد دولة الأدارسة بمدينة فاس العتيقة، وقام الحكّام والأمراء بعدها بتوسعته[٥].(سناء الدويكات، جامع القرويين في مدينة فاس، ص١٤٩).

للقرويين أهميّة كبيرة في الحفاظ على الهوية الحضارية لمنطقة المغرب العربي، فبالإضافة إلى كونه مسجداً فقد اتخذه العلماء لعقد حلقات العلم والتعليم، مما حوّل مدينة فاس إلى مدينة تشتهر بالعلم والثقافة، فنافست بذلك مراكز علمية شهيرة مثل قرطبة، وبغداد، وتلمسان، والقيروان، والقاهرة، وبذلك تشير النصوص إلى أنّ الجامع تحول إلى جامعة في العهد المريني، عندما بنيت العديد من المدارس حوله، فقد زُوِّدَ بالكراسي العلمية والخزانات، وقصده طلابُ العلم من كل حدبٍ وصوبٍ من الغرب الإسلامي، وحتى من المشرق، ومن خريجيه الذين حملوا لواء العلم والمعرفة في العالم نذكر: أحمد الرسيوني، تقي الدين الهلالي، عبد الهادي بوطالب، علَّال الفاسي، سِّي أحمد باي، الطيب زيزي، الشيخ أحمد بن يعقوب[٣] عبد الواحد التازي،[٦] (جامعة القرويين، ص٩٨).

درس في هذه الجامعة سلفيتر الثّاني، الذي شغل منصب البابا من عام ٩٩٩م إلى ١٠٠٣م، وابن خلدون، ولسان الدين الخطيب، وابن عربي، وابن باجَّة، ومن الذين كوّنوا فيها العالم أوعمران الفاسي، وابن سينا المراكشي، وفيها ألف ابن آجروم آجروميته في النّحو[٧](عبدالحميد حاجيات، تاريخ المشترك بين فاس وتلمسان، ديوان المطبوعات الجمعية، الجزائر،١٩٨١، ص٣٣).

يقول في حقّها الرسيوني: «المغربُ هِبةُ القرويين»، وهو يعدّدُ دورَها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وإشعاعها العلمي الذي يمتدُّ حتى أوروبا، وعنها أخذ نظام كراسي العلم، والأستاذ الجامعي الكبير[٨]. نفسه، ص١١٨.

ت- المدارسُ الحرَّة في الجزائر:

يقصد بالمدارس الحرة تلك المؤسسات التعليمية التي نشأت منذ أوائل القرن العشرين، ثم انطلقت انطلاقة كبيرة، حوالي عام ١٩٢٠ على يد علماء وجمعيات تكونت من خريجي الأزهر والزيتونة والقرويين[9]. (أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ١١١/٢).

ومن أشهر هذه المدارس الحرّة، المدرسة التي ارتبطت بالجامع الأخضر بقسنطينة والذي منه خرج إشعاع الشيخ عبد الحميد بن باديس، من أجل إحياء الثقافة العربية الإسلامية، وتعليم علوم الدين والعربية للناشئة الجزائرية، التي كانت فرنسا تريد طمس معالم هُويتها. ثم دار الحديث في كل من العاصمة، وتلمسان، وبعض المدن الجزائرية، وتَوسَّعَ نطاقُ هذه المدارس فانتشرت في المدن والقرى.

عُهِدَ إلى هذه المدارس تكوين الشَّباب الجزائري وتعليمه، وقام في التكوين فيها علماء جمعية العلماء المسلمين، والعلماء العائدون من المشرق العربي، ومن الزيتونة، والقرويين وبذلك انتشر التعليم الحر وذاع صيتها في البلاد طولاً وعرضًا، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية تقدم على غلقها وأسر أساتذتها والزج بهم في النّفيان، وقتل العديد منهم أمثال الشهيد العربي التبسي رحمه الله الملقب بشهيد السّلاحين، وصاحب القبر المجهول[10]. (جريدة الشروق اليومي، العدد ٦٥٨١، بتاريخ٢٠١٠/٠٣/٣١، ص١).

لقد تكفلت هذه الجوامع والمدارس الحُرَّة طيلة فترة الوجود الاستعماري ببلاد المغرب بتكوين المعلمين والأساتذة، وكان همُّها الأساسي التَّركيز على تكوين مكوّنين يتولون:

- إحياءُ مجد المغرب العربي التَّليد المرتبط بالمدّ الحضاري العربي الإسلامي، والذي دنسه الاستعمار الغربي.
- التركيزُ على إحياء مجد اللغة العربية لكونها المكون الأساسي لهُوية منطقة المغرب العربي الكبير.
- تنميةُ روح الانتماء في شعوب المنطقة وغرس روح التضحية والجهاد في النفوس.
- بعثُ التفاعل الثقافي بين جهات ومناطق المغرب العربي.
- تربية النشء تربية سليمة وصولاً إلى مجتمع سليم.
- إصلاحُ الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية في بلدان المغرب العربي.

- نشرُ قيم التّعاون والتّضامن والتّسامح بين شعوب المغرب العربي.

ث- مؤسسات التَّكوين الحديثة:

يطولُ الحديثُ بنا في التّطرق إلى هذه المؤسسات والتي تبنتها وزارات التربية في بلدان المغرب العربي، وهي المعاهد، ودور المعلمين، والمدارس المتخصصة، والجامعات. وقد تبنت بعض هذه المؤسسات التيار الإصلاحي المعتدل وهو ما نجده عند محمود قيادو(١٨٨٩م)، والشيخ خير الدين(١٨٨٩)، ومحمد طاهر بن عاشور(١٨٧٩م)، وعبدالحميد بن باديس، وعلال الفاسي. فقد حرص هؤلاء على تغيير أساليب التربية في العالم الإسلامي إلى حتمية تركيز التعليم على التقنية وتمكين المسلم في التكوين اليدوي الصحيح والسيطرة على الآلة والطبيعة، وذلك كشرط لازم للخروج من التخلف واسترجاع أسباب القوة، وفي ذلك قال محمود قبادو:

وَمنْ لمْ يجسْ خبرَ أوروبَا وملكَهَا***ولم يتغلغلْ في المصانع فهمُــــهُ
فذلك في كنه البلاهة داجــنٌ*** وفي مضــجع العادات يلهيه حلمُه
هم غرسوا روحَ التَّمدُّن فرعُـــــهُ *** الرياضي والعلمُ الطبيعي جـذعُه
هم قتلوا دُنيَا الحياتين خبـرة***فمن لم يساهمهم فقد طاشَ سهمُــهُ.[11]

(محمد لخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص ٩٧١)

بينما تبنت مؤسسات أخرى التيار العلماني وهو نجده عند طه حسين الذي رسم خطة عامة للتربية في كتابيه "مستقبل الثقافة في مصر"و "مرآة الضمير" تعتمد على العقل والتجربة العلمية لا غير، وسار في التيار نفسه سلامة موسى وكان مصطفى كمال باشا قد تبنى هذا المنهج غداة الإطاحة بالدولة العثمانية.[12] (مجلة الثقافة، الجزائر، العدد ٥٦، ١٩٨٠، ص٦١).

وسأقتصر على الحديث عن إسهام الجامعات في مجال التكوين بصفة عامة:

٩- الجامعةُ والمجتمعُ:

تُقدم الجامعة للمجتمع العلم وحصيلة الفكر البشري، وتعلم طلابها مناهج البحث وترقي فيهم روح التفكير، وتؤهلهم تأهيلا عاليا في المعرفة والمهارة في مجال معين ومن ثمَّ يصبح الطالب مؤهلا لتحمل المسؤوليات في مستوى عال في مجال اختصاصه.

لاشكَّ في أنْ من يُعد بحثا علمياً للحصول على شهادة عليا، إنما يهدف أساسا أن يصبح أستاذا جامعيًا أو معلمًا في فرع من فروع التعليم العالي. وينشأ هذا الهدف - في العادة- من تجربة الطالبِ في المرحلة الجامعية الأولى، ولكن غالبا ما تكون هذه التجربة غير ناضجة، ذلك لأن الطالب قد يتأثر حينئذٍ بنفر معين من أساتذته أو بما يتناقله الطلابُ عن الجو الجامعي من أقوال تتسم بالمبالغة، ولا تمت إلى الحياة الجامعية التي يعرفها أساتذة الجامعة إلا بصلة ضئيلة.

- أستاذ الجامعة:

وقد أصبح الآن عددٌ من الأمور الواقعية المتصلة بالحياة الجامعية مألوفًا، لا يحتاج إلى توضيح. فمن المعروف على نطاق واسع أنَّ أستاذ الجامعة أقل أصحاب المهن العليا دخلا، إذ لم يحصل إنسان على الثراء نتيجة لقيامه بالتدريس في جامعة من الجامعات، كما أنّه لا يقبل على العمل الجامعي من يميل إلى الحياة الاجتماعية العامة، ولكن من ينصرف إليه هم أولئك الذين جندوا أنفسهم لخدمة العلم و المعرفة.

وربّما كان من المعروفِ كذلك أنَّ أساتذة الجامعة مشغولون دائما بأعبائهم الجامعية، وهذه حقيقة لا يلبثُ الطَّالب أنْ يدركها حين يرى زملاءه يترددون على معلميهم أو مرشديهم، كما أنّ المقالات الفصلية ورزم مسودات الأبحاث التي تتراكم فوق مكتب أستاذ الجامعة ستحكي قصتها بنفسها. وسيظن من لم يرزق دقة في الملاحظة أنّ عمل أستاذ الجامعة مقصور على أشهر العام الدراسي، كما ستظل

أسطورة الحياة الهادئة الوادعة التي ينعم بها الأساتذة الجامعيون قوية في أذهان أولئك الذين يوجدون بعيدًا عن الجامعات، ولكن من يعش داخل أروقة الجامعة سرعان ما يدرك بأن هذا التصور ليس سوى وهم وخرافة. وحين يختار خريج الجامعة ميدان التدريس الجامعي، فليس ذلك يوحي من ميله إلى الراحة والدعة، بل غالبا ما يكون الدافع الأساسي له هو ما في هذه المهنة من فرص لاستخدام طاقاته الفكرية في عملٍ خلاقٍ، إذ إن الطلاب الجامعيين يدركون أنّ أعمال البحث والتدريس تتطلب قدرًا غير عادي من الصبر وقوة الاحتمال. وإلى جانب هذا فإن هناك أفكارًا خاطئة أخرى حول كيفية الانتماء إلى سلك التدريس الجامعي والطريقة التي يتحقق فيها للمرء الدخول في هذه المهنة.

-الشَّهادة والتدريس الجامعي:

يسودُ الاعتقادُ بأن الالتحاق بمهنةِ التّدريس الجامعي يتطلب شهادة علمية ممتازة ومؤهلة علميا عاليا مثل درجة الدكتوراه، ورغم أنّ المؤسسات الجامعية الأمريكية غالبا ما تولي المؤهلات الرسمية كالدكتوراه اهتمامها، إلا أنّ في مثل هذا الاعتقاد مبالغة كبيرة بالنسبة للجامعات البريطانية. إذ يتضح من التقرير الذي قدمته لجنة روبنز عن التعليم العالي في بريطانيا عام ١٩٦٣، أن ٤١% من مدرسي الجامعات البريطانية لم يحصلوا على شهادة جامعية ممتازة، وأنه لم يكن بين مدرسي الجامعات الذين عينوا فيما بين عام ١٩٥٩م، وعام ١٩٦١، سوى ٣٩% ممن كانوا يحملون شهادة عليا حين التعيين، كما أنه لم يكن بين هؤلاء إلا ٢٨% من حملة الدكتوراه. وربما حصل نفر من فئة الـ ٧٢%الذين عينوا بدون دكتوراه على هذه الدرجة بعد التعيين، ولكن عددا كبيرا من هذه الفئة قد فضّلوا في التعيين على أولئك المرشحين الذين كانوا يحملون درجة الدكتوراه. وليس من المستغرب في الجامعات البريطانية أن يفضل في التعيين مرشح لا يحمل الدكتوراه على آخر يحمل هذه الدرجة، فهناك أقسام بل كليات كاملة

في جامعات مشهورة لا يحمل معظم أعضاء هيئة التدريس فيها درجة الدكتوراه.[13] (مجلة الفيصل العدد٥٦، عام ١٩٨٥، ص٤٥)

وتبدو هذه النظرة نحو المؤهلات العليا حتى في الأقسام الأدبية بالجامعات البريطانية، ولكن من الملاحظ في الآونة الأخيرة أنّ أعضاء هيئة التدريس الجدد أكثر ميلا من زملائهم القدامى لأن يحملوا لقب الدكتوراه. وقد لا يكون هذا في الحقيقة نتيجة لسياسة أولئك الذين يتولون أمر التعيين في الجامعات، ولكن ربما كان يمثل تغيرًا في المسار العلمي للطلاب أنفسهم. ورغم أن برامج الدراسات العليا في الجامعات البريطانية تعد حديثة النشأة إذ ما قورنت بما كان عليه الأمر في الجامعات والأوربية والأمريكية، إلا أنها سرعان ما شبت عن الطوق وصارت تتسم بالنضج والحركة الدائبة. وتشمل هذه البرامج كل ما يفترض في الطالب الطموح أن يقوم به من أعمال في دراسته، كما تعتبر السلم الذي لا بد لطالب الدراسات العليا المبتدئ من أن يتسلقه. وقلما يلاحظ هذا الطالب أن كثيرا من الأساتذة الجامعيين لم يرتقوا هذا السلم على الإطلاق، إذ انخراط بعضهم في سلك التدريس الجامعي بعد وقت قصير من حصولهم على درجة علمية، أمَّا البعض الآخر فربما أسهم مبكرا في ميدان النشر العلمي على حين كان يعاني من العوز والفاقة، أو يتولى أمر وظيفة تتيح له شيئا من الوقت الذي يقضيه في أعمال البحث. وقد أخذت مثل هذه الحالات في التلاشي، ولكن وجودها ما زال أكثر مما يتصوره الطالب. وإذا كان إنشاء كليات الدراسات العليا مفيد في معظم الأحيان، فإن من المؤسف أن هذه الكليات قد أضفت على البحث العلمي طابع الاحتراف وقللت من قيمة ذلك الباحث الفردي المستقل بحيث أصبح من المستحيل أن يتصور المرء ما سيؤول إليه شأن مثل هذا الباحث في المستقبل.

-الأبحاثُ والتّدريس:

ومما يجدُر بالإشارة في هذا الصّدد أنّ كثيرا من الأبحاث الأدبية التي يجد المرء نفسه مدينا لها بالفضل لم يؤلفها من تخرجوا من الدراسات العليا، ولكن ألفها باحثون فرديون لم يكونوا يفكرون في الترقية الجامعية، وكتبها – في أوقات الفراغ- دارسون كانوا يكدحون في طلب الرزق. ويحسن بالطالب ألا يشعر بأن مثل هذه الأعمال أقل منزلة من العيش في وسط مدرسة من مدارس الدراسات العليا. إذ إنه ليس من الضروري – أثناء إعداد البحث- ألا يشغل الباحث عن بحثه شاغل. فكما قال كولريدج: «إذا ما تجاوزت الدوافع والحوافز حدّ القصد انعكست طبيعتها، فبدلا من أن تدفع إلى الحيوية والنشاط فإنها تصيب الذهن بالتبلد والذهول».[14] (مجلة الفيصل العدد٥٦، عام ١٩٨٥،ص٤٥)، وليس التفرغ التام للبحث أمرًا مستحبًا، إذ ربما أدت سيطرته الخانقة على ذهن الباحث الناشئ إلى "التبلد والذهول". ولكن إذا ما استطاع الباحث الطموح أن يحدد مهمته بطريقة علمية، وأن ينجزها بكفاءة، فإن مثل هذه السيطرة قد تصبح ذات نفع كبير. ومهما يكن الأمر فإن لدى طالب الدراسات العليا متسعا من الوقت يمكنه من أن يجمع بين العمل الوظيفي والنشاط الفكري. ولا شك في أن اكتمال العمل العلمي وإنجازه إنما ينمي في الطالب ثقته بنفسه، ولكن التأخير قد يؤثر تأثيرًا عكسيا حيث يحطم الثقة بالنفس في مرحلة مبكرة فيتوهم الطالب غير المجرب بأنه يفتقر إلى الموهبة في ميدان البحث العقلي.

-الدّكتوراه للباحثين:

إذا كانت درجة الدّكتوراه ليست إلّا واحدة من الشّهادات التي تؤهل للعمل الجامعي، فإن هناك الآن أكثر من طريق للحصول على الدكتوراه. فدرجة دكتور في الآداب إنما تمنح في العادة لكبار الباحثين الذين نالوا شهرة عالمية تعتمد على إسهامهم في ميدان النشر العلمي، وبالإضافة إلى ذلك فإن جامعة كيمبردج قد أنشأت في عام

١٩٦٦م، درجة دكتوراه في الفلسفة تمنحها لخريجيها من حملة الشهادات العلمية المتقدمة، إذا كان لهم "إسهام علمي هام" في ميدان النشر العلمي. وتوجد في بعض الجامعات أنظمة مشابهة، كما أن عددا آخر من الجامعات قد تمنح في القريب فرصا مماثلة [15](مجلة العربي العدد٥٨١، عام ٢٠١١، ص١٠٢). ولذلك فإنه ليس من الضروري أبدا أن يشعر المرء بأن حرمانه من الحياة العلمية ذاتها، بل إنه أصبح الآن لا يعني حرمانه من درجة الدكتوراه. إن حياة الطالب في الدراسات العليا تتيح في بعض الأحيان فرصا ممتازة يفيد منها أولئك الأفراد النابغون الذين رزقوا قدرة فائقة تمكنهم من قوة التحمل وترويض النفس. وليست هذه الحياة سوى فرصة من الفرص ولكنها ليست مطلبا دراسيا أساسيا، إذ يحتاج من يريد أن يقوم بحث أدبي إلى أن يستأذن في ذلك جامعة من الجامعات. ورغم ما يبدو أحيانا لطالب الدراسات العليا الجديد من أن الجامعة هي الخزانة الوحيدة للحكمة الانسانية، إلا أن الجامعات لا تسعى إلى أن تحتكر طرق المعرفة البشرية.[16](نفسه ص ١٠٨)

وفي النّهاية فإنّ هناك سبباً رئيسياً وحيدا لكتابة أطروحة، ألا وهو الأمل في أن يكتب المرء أطروحة جيدة، وأن يحصل على رتبة دكتور.

١٠- أهميَّةُ التكوين باللغة العربية:

إنّ التدريسَ باللغة العربية في التعليم العالي وفي جميع الكليات، وفي سائر المواد العلمية وهو أمنية كل عربي وكل وطني حريص على وحدة التكوين ووحدة التوجيه للأجيال الجامعية العربية، لأن التّكوين باللغة العربية سوف يخلصنا من الازدواج اللغوي، وبالتالي ازدواجية التكوين مما يكوّن خطورة على الوحدة الوطنية للشباب الجامعي، كما أنه سوف يقضي على الاختلاف القائم في لغة التكوين في التخصصات العلمية الدقيقة، وفي التخصصات العلمية الطبية، والتكنولوجية، حيث يسير التكوين في معظم الأقطار العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغة العربية، وفي بقية

العلوم الأخرى باللغات الأجنبية خصوصا الفرنسية والانجليزية، وبذلك تختلف لغة التكوين العلمي بين الأقطار العربية.

فالعرب هم لغة واحدة في العلوم الاجتماعية والانسانية، ولهم لغات متعددة في العلوم الأخرى، مما يجعل عملية التفاهم صعبة للغاية في المؤتمرات العلمية والدولية بين العلماء العرب.

ولعلّ أهمية التَّدريس باللغة العربية في التعليم العالي تضمن لنا:

١- السُّهولة في التعليم.

٢- السُّرعة في الفهم والاستيعاب.

٣- الدّقة في نقل المعلومات.

إنَّ العلة ليست في اللغة العربية، فالعلوم لا لغات لها ولا أوطان لها، وإنما لها عقول. غن عيب العلماء العرب أنهم لا يجيدون استخدام العربية وأساليبها عرض الأفكار وهم مصابون بمركب نقص غرسه فهم الاستعمار.

١١- المعلم في ظلِّ المناهج التّربوية القائمة:

إنَّ مناهج التربية في المجتمع ليس ملكا لوزارات التربية، وليست من مهامها تسطير البرامج التربية، بل هي هيئة تنفيذية تنفذ ما أجمعت عليه الأمة ممثلة في رموزها، من علماء، وساسة، وإطارات، وكفاءات علمية كبيرة، واستراتيجيين، ومخططين كبار، وأكثر من ذلك فإن البرامج التربوية هي مسؤوليات المجتمع برمته وكل المواطنين شركاء في إدارةِ هذا الملف.

وبذلك فمن حقِّ أي مواطن أن يبدي رأيه في المدرسة وفي مستقبلها ومن حقه أن يقترح البدائل النوعية التي ترقّي المدرسة لتواجه الرهانات المعاصرة.

لا ننكر أنَّ هناك مفارقات معاصرة تولدت مع الحياة المعاصرة في شتى المسائل، فالمجتمع المعاصر له تركيبه وطقوسه وعلاقاته المتداخلة التي تفرض التغيير والتنميط نتيجة ما أحدثته الثورة الرقمية وثورة المعلومات، كما أن الزمن الحاضر يفرض التعامل

مع الآخر ضمن عولمة غدت لا تراعي الخصوصيات فإن الأمر فيها إما غالب أو مغلوب والمعادلة بيها واضحة، ولعل هذا ما يفرض تحديات تربوية حاضرة ومستقبلية ومن هنا لا بد من التفكير في مدرسة تتلاءم مع العصر وتتحمل مسؤولياتها.

ومن ثمَّ نطرح سؤالا كيف نتصور معلم القرن ٢١: إن معلم هذا القرن تنظره مهام عديدة منها:

- التمكُّن الجيِّد من لغته الأم حتى يتسنى له تعليمها فضياع اللغة هو ضياع للهوية وهو ضعف عام في مختلف العلوم وفي جميع مناحي الحياة.

- امتلاك تقنيات العصر من حاسوب وانترنيت حتى يكون ابن عصره. فمن لا يفكر بثقافة العصر سوف يتخلف عن الركب.

- الكفاءة التربوية العالية التي تمكنه من التغلب على كثير من المضايقات المعاصرة.

- الإسهام الايجابي في بناء مجتمعه بما يقدم داخل المدرسة وخارجها من توجيهات ونصائح.

- التّحوُّل من وظيفة ناقل للمعلومة إلى دور وظيفة المحاور والمقنع والموجه والمرشد، فالمعارف غدت متاحة للجميع.

- المساهمةُ في زرع ثقافة الهوية الوطنية والمواطنة الصالحة ذلك أن العولمة الموحشة قد تجر الجميع خصوصا الضعفاء.

- الانفتاح على الغير من الأمام والحذر من هدم السقف الذي يعيش فيه المجتمع من قيم ودين وعادات وتقاليد ولغة.

١٢- تكوين المعلمين والأساتذة في الدول ذات الأداء الأفضل:

١- **نموذج سنغفوراه:** النجاح المحقق جعل هذا البلد نموذجا نقترحه للاحتذاء به.

تقوم تجربة هذا البلد على:

- تحديد المواهب التعليمية ورعايتها وعدم ترك ذلك للصدفة في برنامج ترتيب المترشحين لمهنة التعليم على ضوء مؤهلاتهم ونتائجهم في المسابقات.
- الرواتب الشهرية العالية.
- يتم تكوين المعلمين في المعهد الوطني للتربية والتعليم وله فروع في المدن الرئيسية في البلد.
- يتكون برنامج الشهادة في التربية من ١٣٨ ساعة معتمدة يتم دراستها في أربع سنوات.
- تتوزع الخطة الدراسية على المجالات الآتية:

المستوى الأول: الدراسات التربوية.

المستوى الثاني: الدراسات التربوية.

الدراسات المتعلقة بالمناهج موزعة على:

اللغة +الرياضيات +العلوم +الدراسات الاجتماعية.

- تعزيز اللغة ومهارات التحدّث الأكاديمي.
- التدريب الميداني.

٢- **نموذج فنلدا:**

- فتح مهنة التعليم للراغبين.
- اعطاء المعلمين درجة عالية من المسؤولية.
- الانتقاء في اختيار يتم على مرحلتين.

١- دراسة المسار التعليمي للمترشح خلال حياته المدرسية وخارج المدرسة.

٢- مقابلة أفضل المترشحين ويطلب منهم شرح لماذا قرروا أن يصبحوا معلمين؟

- يخضع الناجحون لبرنامج تكوين مكثف وصارم.
- جميع المعلمين في فنلدا يحملون شهادة الماجستير.

١٣-الخلاصةُ:

ختاماً يجب علينا أن نعرف أننا نعيش في عالم غي عالم الأمس، عالم يسمى عالم الرَّقمنة والاختراع والتكنولوجيا، عالم صغرته الآلة والتقانة، وقربت المسافات بين أرجائه، يَفرضُ على الجميع السير في اتجاه مستقيم، عالم انمحت فيه الفوارق وضعفت في الهُويات الخصوصية لذلك ينبغي:

أولا/- القبول بهذا الوضع والتعامل معه بإيجابية وبحنكة مادام يتعذر تغيير مساره، وعدم الوقوف جامدين في مصبه حتى لا يجرفنا السيل.

ثانيا/- القبول بمبدأ التعايش السلمي وفتح أبواب الحوار مع الآخر وتأجيل نقاط الاختلاف إلى حينها.

ثالثا/- التَّقَوِّي بالعلم والتَّسلح بالتكنولوجيا والاعتصام بالثقافة الأصلية عملا بمبدأ" الأصالة والتفتح" حتى يتسنى لنا السير في الاتجاه السليم.

رابعا/- إدراج الفكر المستقبلي في المناهج والمقررات المدرسية والجامعية.

خامسا/- فتح المدرسة على الثقافة العربية بهدف تجديدها.

سادسا/- فتح المدرسة على الثقافة العالمية بهدف التفاعل معها لا الوقوف منها موقف المنبهر أو المتردد الخائف.

سابعا/- تتطلب مدرسة المستقبل وجامعة المستقبل معلما كفأ ملماً بقضايا العصر.

١٤ - المصادر والمراجع

١- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،٨٧/٢

٢- جريدة الشروق اليومي، العدد ١٢٨٥، بتاريخ ٢٠١٠/٠٣/٣١

٣- سناء البركات، جامع القرويين في مدينة فاس، المغرب، ١٩٩٩، ص٩٥.

٤-عبد الحميد حاجيات، التاريخ المشترك بين فاس وتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١، ص٢٦

٥- مجلة الثقافة، الجزائر، العدد٥٦، ١٩٨٠.

٦- مجلة العربي الكويتية، العدد٥٨١، عام ٢٠١١.

٧- مجلة الفيصل العدد٥٦، عام ١٩٨٥.